مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

دُعَاءُ "يَوْمُ عَرَفَةِ" لِلْإِمَامِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) (دِرَاسَةُ الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة)

عبير راشد أبو جهجة [1]

١ الجامعة اللُّبنانيَّة / كُلِّيَّة الآداب / قسم اللُّغة العربيَّة، لبنان؛

Abirabirjahjah75@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤/٢/٢٣	٢٠٢٤/٤/٢	٢٠٢٥/٣/٣١

المجلـــد (٢١) العـــدد (٣٣)
رَمَضَان ١٤٤٦هـ . آذار ٢٠٢٥ م

DOI:
10.55568/t.v21i33.119-146

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

قال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب (عليه السلام): "نحن أمراء الكلام، وفينا تشبّثت عروقه، وعلينا تهدّلت أغصانه."

هدفت هذه الدّراسة الموسومة بـــ: "دعاء يوم عرفة للإمام الحسين(عليه السلام)/ دراسة الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة" إلى رصد أبرز تمثّلات هذه الإستراتيجيّة الّتي تعدّ أهمّ المفاهيم الإجرائيّة في نظريّة التّلقّي والتّأثير، في هذا الدّعاء المبارك. فكان أوّلًا: التّعريف بالموضوع، وتسويغ اختيار العنوان، ثمَّ الإشكاليّة من بعدها مفهوم الدّعاء يليه مفهوم الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة فالتّطبيق فالخاتمة.

أمّا التّطبيق فتضمَّن دراسة: الاستهلال، والتّناص، والثّنائيّات الضّدّيّة، والبياضات، والبنية الإيقاعيّة، فتبيّن أنَّ هذه الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة عملت على ربط ذخيرة النّصّ، وتنظيمها تنظيمًا إرشاديًّا يجعل من المتلقِّي/ القارئ شريكًا فاعلًا في عمليَّة إنتاج المعنى، وتاليًّا تكوين الموضوع الجماليّ الّذي استطاع أن يسِم هذا العمل الإبداعيّ بالتّفرّد، والتّميّز اللّذين أمّنا خلوده عبر آلاف السّنين. كما نبّأ هذا الموضوع بالمقصوديّة الواعية النّابعة من ثوابت عقائديّة، وإيمانيّة ثرّة عند الإمام عليه السّلام.

الكلمات المفتاحيَّة: التّلقّي – التّأثير – الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة – المعنى الموضوع الجماليّ

Day of `Arafah" Supplication of Imam Hussein bin Ali (Textual Strategic Study)

`Abeer Rashid Abu Jahja [1]

1 Lebanese University / College of Arts / Department of Arabic, Lebanon;

Abirabirjahjah75@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
23/2/2024	2/4/2024	31/3/2025

DOI: 10.55568/t.v21i33.119-146 | Volume (**21**) Issue (**33**) | Ramadhan 1446 AH March 2025 AD

CC BY NC

Abstract:

The prince of the faithful Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) said: "We are the masters of speech; its roots are anchored in us, and its branches flourish through us". This study aims to explore the most prominent manifestations of textual strategy, which is one of the most significant operational concepts in the theory of reception and influence, within this blessed supplication. The study composes of an introduction, reason of choosing the title, and the research problem, followed by an explanation of the concept of supplication and textual strategy. It then proceeds to the application of the strategy and finally the conclusion. The practical section examines the introduction, intertextuality, antithetical dualities, gaps, and rhythmic structure. It reveals that this textual strategy connects the textual repertoire and organizes it in a guiding manner, making the recipient/reader an active partner in the process of meaning production and,consequently, the formation of the aesthetic subject. This aesthetic subject has endowed the creative work with uniqueness and distinction, ensuring its immortality over thousands of years. Additionally, it reflects the conscious intentionality rooted in the rich doctrinal and faith-based principles of the Imam(peace be upon him).

Keywords: Reception - Influence - Textual Strategy - Meaning - Aesthetic Subject

التّعريف بالموضوع

يعدُّ الدّعاء* أسلوبًا متميّزًا من أساليب الخطاب المباشر؛ فهو إلى جانب البنية اللّغويّة المشيّدة على أساس صلبٍ من البلاغة، والفصاحة، يحوي مضامين مهمّة في العقائد، والفكر، والأخلاق، والسّلوك... كما يبلور مفاهيم رائعة في التّوبة والإنابة، وشحذ الهمم في سبيل إصلاح النّفس، وتزكيتها.

إذًا الدّعاء بنية نصّيَّة خطابيَّة تفترض قارئًا متلقّيًا يمثّل الطّرف الثّالث في عمليَّة القراءة إذ يرى وولفغانغ آيزر، أحد منظّري نظريّة "التّلقّي والتّأثير" أنَّ العلاقة بين القارئ والنّصّ علاقة تبادليَّة وليست أحاديّة الجانب لأنَّ عمليَّة القراءة تبدأ من النّصّ إلى القارئ ثمّ من القارئ إلى النّصّ"[١] فالمؤلّف، وهو الإمام الحسين (عليه السلام)، هو الطّرف الأوَّل في هذه العمليَّة الفكريَّة الواعية، والنّصّ/ الدّعاء هو الطّرف الثّاني. أمّا القارئ فهو الطّرف الثّالث الّذي يضطلع بعمليَّة التّلقّي فيتأثّر بجماليَّات النّصّ المقروء تبعًا لما يكوّنه من معنى بعد أن يقوم بعمليَّات فهم مركَّبة ** تؤدِّي في نهاية المطاف إلى استخلاص الموضوع الجماليّ الّذي يعدّ غاية التّلقّي في إطار ما يعرف "بنقد استجابة القارئ"[٢] ***. وللوقوف على أبرز ما يحكم جماليَّة التّأثير في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين (عليه السلام)، كان اختيار (الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة) الموظّفة في هذا الدّعاء، وتناولها بالنّقد والتّحليل كونها عامل أساس، فضلًا عن السّجلّ النّصّيّ، في إواليّات إنتاج المعنى.

لقد أولت الدّراسات النّقديَّة الحديثة عنايةً كبيرةً بالمتلقّي كونه ركنًا أساسيًّا في عمليَّة التّواصل والإبلاغ "فلم يعدِ القارئ مُرسلًا إليه فقط، إنَّما أصبح متلقّيًا قادرًا على الدّخول أو العبور إلى النّصّ أو الاندماج فيه"[٣] ما يهمّ الدّراسة، من ذلك، هو الوقوف على آليَّة اندماج القارئ/ المتلقّي في دعاء

---

١ ربابعة, موسى. جماليّات الأسلوب والتّلقّي/ دراسات تطبيقيّة, ط١ (الأردن: مؤسّسة حمادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع, ٢٠٠٠), ٩١.

٢ تومبكنز, جين.ب. نقد استجابة القارئ من الشّكلانيّة الرّوسيّة إلى ما بعد البنيويّة, ترجمة. حسن ناظم وعلي حاكم, مراجعة وتقديم محمد جواد حسن الموسويّ (المجلس الأعلى للثّقافة/ المشروع القوميّ للتّرجمة, ١٩٩٩), ١٧.

٣ ربابعة, جماليّات الأسلوب والتّلقّي/ دراسات تطبيقيّة, ٨٩.

* أدعية الأئمّة المعصومين بشكل خاصّ.

** عمليّات الفهم المركّبة: مصطلح خاصّ بنظريّة "التّلقّي والتّأثير" من منظور وولفغانغ آيزر. وهي تعبّر عن مهام المتلقّي التّحليلية المؤدّية إلى إدراك العمل الأدبيّ بعيدًا من الاعتباطيّة فيقوم هذا المتلقّي بتعديلٍ مستمرٍّ لقراءاته استجابةً للذّاكرة القرائيّة المتحوّلة.

*** نقد استجابة القارئ: أو "جماليّات الاستقبال" هو المدرسة النّظريّة الأدبيّة الّتي تركز على القارئ أو الجمهور وتجربتهم في العمل الأدبيّ، ويسأل عن الإدراك المفاهيميّ والعاطفي للأعمال الفنّيّة ومدى إنشائه بالفعل في الكائن وإلى أي مدى ينشأ في عمليّة الاستقبال. ويعد وولفغانغ آيزر من مدرسة كونستانس الألمانية من الّذين اهتمّوا بهذا المصطلح وطوّره ضمن نظرية التّلقي والتّأثير.

عرفة للإمام الحسين عليه السلام، وما يترتّب عليه من مثيرات جماليَّة حاضرة ضمن إطار الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة، تدعم الأسلوب، ولا تهمل المضمون لأنَّه بمثابة الشّرارة الّتي أوقدت نيران البلاغة، والفصاحة، والبيان عند المؤلّف... كما تتأتّى أهمِّيَّة الاندماج من ما يترتَّب عليه من خشوع، وتمثَّل سلوك الأئمّة عليهم السلام، واقتداء المثل الصّالح في النهج، والفكر، والعمل. وعليه تكون مقاربة الموروث الدينيّ، متمثّلًا بدعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام، بمفهوم إجرائيّ مهمّ في نظريَّة نقديَّة حديثة هي نظريَّة "التّلقّي والتأثير" التي أسندت إلى المتلقِّي دورًا بارزًا في عمليَّة الفهم والتّأويل للوقوف على جماليَّات النّصّ ومثيراته، من الأمور الّتي تستحقّ الجهد النّقديّ، وخوض غمار التّجدّد والانفتاح في النّقد الأدبيّ الدّينيّ فيغدو النّصُّ/ الدّعاءُ متاحًا أمام كلِّ أنواع المتلقّين يفترض قراءات مفتوحة وواعية تسبر أعماقه، وتتلمّس مفاصله، وتتنوّر بمعارفه الثّرّة. كما تتنعّم بكنوزه البلاغيَّة. كلّ ذلك يتطلَّب من المتلقِّي أن يشحذ سلاح تحليله، وتأويله بحذر ودراية من دون الوقوع في الاعتباطيَّة أو الإسقاط... كما تبرز أهمِّيَّة الدراسة في محاولة كشفها عن عوامل الإثارة الأسلوبيَّة أي الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة بحسب جماليَّات التلقِّي والتّأثير. هذه العوامل الّتي تحفِّز استجابة القارئ، وتورّطه في النّصِّ بحيث تؤمّن تفاعله، وتؤكِّد دوره في إنتاج المعنى. يقول ريفاتير في الأسلوب: "السّياق الأسلوبيّ هو نموذج لسانيّ مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع."[٤] أي أنَّ المثير الأسلوبيّ، وهو في هذه الدراسة، أحد أركان الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة، يحصل بكسر توقّع القارئ عبر إحداث المفاجأة لأنَّ المتوقَّع أو المنتظر لا يثير شيئًا في وعي القارئ، وإن حصل ذلك يفقد النّصّ جماليَّته، وبلاغته، وتاليًا تفرّده وخلوده.

فكيف تمَّ توظيف الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة في دعاء عرفة؟

وما هي أبرز وجوه هذه الإستراتيجيَّة وتمثّلاتها؟

وهل نجح هذا الدّعاء في خلق جماليَّات تأثير عند متلقّيه؟

للإجابة عن هذه الأسئلة الإشكاليَّة ستفترض الدّراسة أنَّ خصوصيَّة هذا الدّعاء تتأتّى من اعتباراتٍ عدّة؛ فالزّمان، فضلًا عن المكان والمناسبة، كوّن الأفق المفتوح، والمحفّز على اجتراح هذا الدّعاء. كما أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان آخر ابن بنت نبيّ، وهو آخر أصحاب الكساء، وسيّد شباب

٤ ريفاتير, ميكائيل. معايير تحليل الأسلوب, ترجمة. حميد لحميداني, ط١ (الدّار البيضاء: منشورات دراسات سيميائيّة أدبيّة لسانيّة(دراسات سال), ١٩٩٣), ٥٦.

أهل الجنة بتصريح الرّسول مُحَمَّدﷺ. وكان معروفًا بفصاحته، وبلاغته، وإيمانه الثابت والعميق. كذلك زهده وتقواه... كلُّ تلك الأمور مجتمعة سوف تتضافر وتتفاعل كي تنحو بالدّعاء منحى التّفرّد والخلود.

تجدر الإشارة إلى خصوصيَّة ومحاذير هذا العمل كونه يدرس بالنّقد والتّحليل الوصفيّ دعاء إمام معصوم، وما يترتَّب على ذلك من عدم السّهو أو الخطأ أو النّسيان... والله وليّ التّوفيق في إدراك المعاني ودلالات هذا الدّعاء المبارك.

مفهوم الدّعاء

يعدّ الدّعاء في الإسلام من أعظم تمثُّلات العبادة، وأكثرها تهذيبًا للنّفس؛ إذ يكسبها التّواضع، ويبعدها من الغرور والعُجب. فشعور إنسان بالحاجة إلى البوح والطّمأنينة يجعل من الدّعاء مصدرًا للسّكينة، ومعقلًا للثّقة، والأنس يجترحه في يوميَّاته، وكلّما ضاقت به سبل الحياة، وتضايقت عليه الأمور... ولمّا كان الدّعاء يعبِّر عن حالة نفسيَّة تظهر عواطف الإنسان، ولا سيّما في حالات الضّعف، وازدحام حاجاته الّتي لا تُقضى من دون تقديرٍ إلهيّ. يمكن القول أنَّ هذه العبادة هي استجابة فطريَّة من الإنسان لنداء ربِّه. كما أنَّه شعور قلبيّ وجدانيّ بالحاجة إلى عناية الله تعالى في كلِّ ما يُرغبُ فيه أو يُرغبُ عنه. ما يعني أنَّ الدّعاء شعور داخليّ في الإنسان يُمتِّن ارتباطه بخالقٍ واسع الرّحمة والمغفرة. محيط بكلِّ شيء، رحمان رحيم... هذا الارتباط يجعل الدّاعي المتوسّل يعترف بضعفه وقلّة حيلته فيلجأ إلى المدعوّ/ الخالق وقد لبّى طلبًا منه، أورده في قرآنه الكريم:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة: ١٨٦)

فالإحساس بالافتقار الدّائم إلى الله تعالى يجعل الدّعاء ملازمًا للإنسان في كلِّ تحرّكاته وسكناته، في ليله ونهاره، وسرّه وجهره. يحمله في قلبه، ويجهر به لسانه. هكذا يصبح الدّعاء شعورًا باطنيًّا عند الإنسان يصله بالخالق العظيم الّذي لا حدّ لسعة رحمته، ولا لقدرته. وفي الخصال عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال:" من أُعطي ثلاثة لم يُحرم ثلاثة: من أُعطي الدّعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشّكر أعطي الزّيادة، ومن أعطي التّوكّل أعطي الكفاية فإنَّ الله عزَّ وجلَّ

يقول في كتابه﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، وقال ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وقال:﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾."[٥] فالدّعاء مقرون بالشّكر، وحسن التّوكّل، وهذه الأقانيم الثّلاثة لا تتوافر إلّا عند المؤمن الحقيقيّ المخلص الدّين، والواثق من الاستجابة... وفي التّوحيد بإسناده إلى موسى بن جعفر قال: "قال قوم للصّادق عليه السلام "ندعو فلا يُستجاب لنا" قال: "لأنّكم تدعون من لاتعرفونه."[٦] فمعرفة الله مبنيَّة على الثّقة، والتّسليم، وسلامة القلب وبعده من السّهو واللّهو. وهذه المعرفة هي شرط أساسيّ لاستجابة الدّعاء.

ومن فضائل الدّعاء أنَّه قادرٌ على ردِّ القضاء حتَّى ولو أُبرِم إبرامًا، وصرف البلاء صرفًا فهو مفتاح الرّحمات، وقضاء الحاجات، ونوال الطّلبات...

خصوصيَّة دعاء يوم عرفة

ينطوي دعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام، فضلًا عن المكان والمناسبة، على مضامين توحيديَّة وعرفانيَّة كثيرة تجعل القارئ لهذا الدّعاء يستنفر كلَّ حواسِّه، وجوارحه، وأعضائه لاهجًا بالشّكر والحمد لله تعالى، معترفًا بقصوره، وعجزه عن الإيفاء بما تستحقَّه تلك النّعم الّتي منحها للإنسان في كلِّ مراحل حياته، وترافقه" كشريط سينمائيّ يبدأ قبل تكوّنه ثمّ يمرّ إلى مرحلة الأصلاب فالأرحام، ثمّ دخوله (إلى) هذا العالم بدءًا من الرّضاعة، فالطّفولة المبكّرة والمتأخّرة، ثمّ البلوغ إلى اللّحظة الّتي يخاطب فيها الله سبحانه بهذا الدّعاء."[٧]

مفهوم الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة:

يعد مصطلح" الإستراتيجيّة النَّصِّيَّة "من أهمّ مصطلحات وولفغانغ آيزر الخاصّة بجماليَّة التّلقّي والتّأثير، ويعني بها الإجراءات الّتي تجعل من الممكن ربط عناصر الذّخيرة النَّصِّيَّة [٨]*، ونمذجة شروط استقبال النّصّ، وإدراكه من قبل القارئ. بمعنى آخر" تقوم[الإستراتيجيّات النَّصِّيَّة] بتنظيم كلّ من مادّة النَّصّ والظّروف الّتي تمَّ توصيل المادّة في ظلّها."[٨ ٩] كما تعمل على

٥ الطّبطبائيّ, "الميزان في تفسير القرآن – المكتبة الشّيعيّة," د.ت.,ج١٧/ ٣٤٣, http://shiaonlinelibrary.com/.
٦ الطّبطبائيّ,ج١٧ / ٣٤٤.
٧ عبدالعالي,سعيد عكاب. "القرينة الصّوتيّة وأثرها الدّلاليّ(دراسة في دعاء عرفة)," مجلة لارك للفلسفة واللّسانيّات والعلوم الاجتماعيّة. مديريّة تربية كربلاء المقدّسة المجلد ١, العدد. ٤٤ (د.ت.): ١٥٩.
٨ آيزر, وولفغانغ. فعل القراءة, ترجمة. عبدالوهاب علوب, د.ت.
٩ هولب,روبرت. نظرية التّلقّي/ مقدّمة نقدية, ط١ (القاهرة: المجلس الأعلى, ٢٠٠٠), ٩٥.

تحقيق الدّيناميكيَّة داخل النَّصِّ. وكلّما كانت هذه الإستراتيجيَّات فاعلة كان التّواصل مع النَّصِّ أكثر مرونة وإنتاجيَّة للمعنى.

تظهر أهمِّيَّة الإستراتيجيَّات النَّصِّيَّة عند محاولة استبعادها؛ فهي في حدّ ذاتها لاشيء، أي أنَّها لا تعدّ بنية مجرَّدة في النَّصِّ. لكنَّها بالتّأكيد عاملٌ مؤثِّر في تكوينه وهيكليَّته. فالخطاطة النَّصِّيَّة من دون إستراتيجيَّات فاعلة تصبح مجرَّد خطاطة دلاليَّة ظاهرة ومباشرة بعيدة من التّضمين الّذي يحيل على انفتاح التّأويلات، تاليًا تفعيل دور القارئ في استنباط المعنى فيُعمِل عقله، ويشحذ أفكاره من خلال الإمساك بأطراف الخيوط الّتي تمنحها تمثّلات الإستراتيجيَّة، والمعبّر عنها بالمثيرات الأسلوبيَّة التي ستتناول الدّراسة منها: الاستهلال، التّناصّ، الثّنائيَّات الضِّدِّيَّة، البياضات، البنية الإيقاعيَّة.

هذه المثيرات الأسلوبيَّة تعمل على كسر التَّوقُّع، وإحداث المفاجأة، والإثارة عند المتلقِّي فتورِّطه بالنَّصِّ بطريقة إيجابيَّة هادفة وبنّاءة... وهنا يكمن بيت القصيد نقديًّا: كيف يتفاعل المتلقّي مع دعاء عرفة للإمام الحسين(عليه السلام)؟ على أنَّ هذا التّفاعل أمرٌ جوهريٌّ في استقبال، وتلقِّي الأدعية؛ إذ يفترض بقارئها أن يتفاعل معها متفكِّرًا ومتدبِّرًا، وواعيًا بكلِّ ما تحمله من ذخائر معنويَّة، ولغويَّة، وتثقيفيَّة فرديَّة وجماعيَّة... تعبِّر سيزا قاسم عن العلاقة الّتي تنشأ بين النَّصِّ والمتلقِّي أثناء فعل القراءة: "إنَّها تتحدَّد من خلال وعي الذّات بنفسها، والنَّصِّ الّذي تتلقَّاه، فالذّات المدركة من جانب، والنَّصُّ المُدرَك من جانب آخر يتمّ التّفاعل بينهما طبقًا للتّصوُّرات العامَّة السّائدة في الثّقافة المعاصرة لعمليَّة القراءة الّتي تشكِّل وعي القارئ بهاتين الحقيقتين."[١٠] على أنَّ الإطار المرجعيّ يعدُّ مطلبًا مهمًّا عند تحليل أيِّ نصٍّ؛ فالبنية النَّصِّيَّة ليست مستقلّة إنَّما تحيل بطريقة غير مباشرة على الواقع التّجريبيّ حيث انتقى المؤلِّف ذخيرته النَّصِّيَّة. والإطار المرجعيّ لدعاء يوم عرفة غنيّ عن التّعريف وإطالة الشّرح. إنَّه باختصار: معدن النُّبوَّة، ومرتع الولاية، ومهبط آيات الوحي والتّنزيل، والعصمة والبلاغة والفصاحة...

لعلَّ هذه الدّراسة المتواضعة ستكون محاولةً قاصرة للإحاطة بكيفيَّة توظيف الإمام الحسين(عليه السلام) لإستراتيجيَّاته النَّصِّيَّة المنظّمة لدرر ذخائره النَّصِّيَّة، وهو الإمام المعصوم المنزَّه، البليغ، والفصيح الذي أحبَّ الله من أحبَّه. علم الهدى، والعروة الوثقى، ومصباح الدّجى...

١٠ قاسم, سيزا. القارئ والنّصّ (العلامة والدّلالة) (المجلس الأعلى للثّقافة/ الشّركة الدولية للطباعة, ٢٠٠٢), ١٠٧.

١-الاستهلال

يشير الاستهلال في بداية الكلام إلى بيان الغرض والموضوع، وهو أبرز وجوه البلاغة الأسلوبيَّة؛ وبراعة الاستهلال هي" حسن الابتداء؛ أي أن يقدِّم المتحدِّث أو الكاتب في ديباجة حديثه أو في أوَّل موضوعه جملة من الألفاظ والعبارات يمهّد بها لموضوعه الأساسيّ."* فالاستهلال هو البداية الّتي تطرق أذن المتلقّي، وتحفّزه على المتابعة أو تثبط حماسته.

استهلّ الإمام الحسين عليه السلام دعاءه بأربع متلازمات من الجمل:" الحمد للهَّ الّذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع."[١١] شملت هذه الجمل الافتتاحيَّة: الحمد، والقضاء، والعطاء، والصّنع، والجود، وهو بذلك حقّق استجابة سريعة من المتلقِّي فأشركه في النَّصِّ كقارئ متفاعل. و"الحمد" هو الثّناء الجميل، ويتضمَّن الشّكر والاعتراف بالامتنان على سبيل المدح. وقد تصدَّر الحمد فاتحة القرآن الكريم "الحَمْدُ للهَّ رَبِّ العالَمِينَ" (الفاتحة:٢) وتتجلَّى أهمِّيَّة هذا السّلوك القويم في رغبة الدّاعي في الإقبال على الله عَزّ وجلّ بما يحبّ ويرضى لكي يمنَّ عليه بالقبول والإجابة... كما لازم فعلُ الحمد القضاءَ، والصّنعَ، والجودَ لتتجلَّى أهمِّيَّة هذا الفعل بوجوب ملازمته لكلّ ما يقدّره الله من أمور للإنسان حتّى ولو كان القدر ثقيلًا أحيانًا؛ فالحمد والشّكر واجبان في السَّرَّاء والضَّرَّاء، والحمد للهّ الّذي لا يُحمد على مكروهٍ سواه. والحمد، هنا، هو مدح مقرون بالمحبَّة الكاملة، والتّعظيم التَّامِّ.

أمَّا "القضاء" فهو بمعنى الإرادة والمشيئة والإمضاء؛ فإذا قضى الله أمرًا، أي شاءه، أتمَّ له أسبابه وعلله، وأحكم شروطه فلا مردَّ لوقوعه، ولا دافع يستطيع تبديله أو إبطاله. جاء في القرآن الكريم:﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(الإسراء :٢٣) أي أمر ربُّك أن لا تعبدوا إلّا إيَّاه، وأن تحسنوا إلى الوالدين. وكان فرض العبادة تامّ العلل، والشّروط، والأسباب لذلك، وأنَّه تعالى علِم فشاء، وأراد فقدّر، وقضى فأمضى... فبالمشيئة كانت الإرادة، وبالإرادة كان التّقدير، وبالتّقدير كان القضاء، وبالقضاء كان الإمضاء... قال أبو عبد الله عليه السلام: "إنَّ الله إذا أراد شيئًا قدَّره، فإذا قدَّره قضاه، فإذا قضاه أمضاه."[١٢]

---

١١ القمّي, عبّاس. مفاتيح الجنان, ط١ (بيروت: مؤسّسة الأعلمي, ٢٠٠٤), ٣٢٨.

* معجم المعاني الجامع- براعة الاستهلال

١٢ البحراني, عباس الرّيس. أصول المعرفة في شرح دعاء عرفة, د.ط. (المنامة: منشورات مكتبة العلوم العامّة, د.ت.), ٦٥.

تظهر بلاغة الإمام عليه السلام في جمعه بين فعل الحمد الّذي ابتدأ به، وفعل القضاء المنوط بالله عزّ وجلّ؛ أي بين كثرة التَّفضُّل الموجبة للحمد، وبين الحكم القاطع المتمثّل بالقضاء المبرَم. ينتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى توصيف جديد يظهر عظمة الخالق، وهو "الصّنع" الّذي ليس كمثله صنع أحدٍ من المخلوقات. فالله جلّ وعلا أتقن صنع كلِّ خلقٍ خلقه، وأوجده. وجاء صنعه بمقادير وميزات يعجز عن تقليدها أو محاكاتها أمهر الصُّنَّاع، وأكثرهم احترافيَّة، وإن جاء صنعهم متقنًا إلّا أنَّه يظلّ مفتقرًا إلى صفة الكمال الخاصّة بالخالق وحده سبحانه وتعالى.

يتدرَّج الإمام عليه السلام في ذكر صفات الله عزّ وجلّ ذكرًا يجمع إلى البلاغة الموجِزة في التّصوير والمعنى فصاحة اللّغة، وانسيابيّتها فيقول: ليس لعطائه مانع: أي أنَّ الله تعالى يعطي فيدهش، ولا رادَّ أو مانع لعطائه. يرسل الرّحمات، والعطايا إلى مخلوقاته بأغرب الطّرائق، وأكثرها دهشة، ودلالة على القدرة، والعظمة، واللّطف، والرّأفة... وفي هذه الجمل يظهر جليًّا أسلوب الدّاعي المفتقر إلى الله، الّذي يرجو عطاءه بأسلوب ليس فيه مباشرة، إنَّما ينتظر عطاءه سبحانه مثله كمثل أيِّ إنسانٍ آخر مكتوبٌ له عطاء لا يُردُّ...ولعلَّ في ذلك إشارة إلى تواضع الإمام عليه السلام، وحسبانه نفسه كأيِّ شخصٍ آخر في مكان مقدَّس يستوي فيه جميع النّاس كما يتساوون أمام خالقٍ مانح وعادل.

ينهي الإمام الحسين عليه السلام استهلاله بجملة: "وهو الجواد الواسع" وهي جملة فيها من الثّناء الكثير. جاءت هذه الجملة خاتمة الاستهلال وقد ارتبطت بما سبقها من جملٍ ارتباطًا دلاليًّا واتِّساقيًّا؛ فبعد الحمد أتى القضاء الّذي يحدّد تحقّق المشيئات، ومنها الصّنع والعطاء. ثمّ يردف الإمام عليه السلام بعد ذلك بصفة الجود والسّعة، وما يتَّصل بهما من كرم، وسخاء، ورأفة، ورحمة... وغيرها من الصّفات الّتي تستدعي الجود حكمًا فالله تعالى جواد واسع يعني ذلك أنَّه سيكون رحيمًا، كريمًا، ومعطيًا.

تتوسَّع الدّلالات المعنويَّة والبلاغيَّة في هذا الاستهلال فتظهر بلاغة الإمام عليه السلام فيستطيع بهذه الجمل الأربعة أن يشحذ انتباه المتلقّي، ويشجّعه على المتابعة من أجل المزيد من الإيضاح والتّفصيل. كذلك رغبةً بالاستفادة وتحقيق تفاعل إيجابيّ يمكّنه من تشكيل المعنى.

بالإمكان القول إنَّ الاستهلال في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام كان بمثابة الشّرارة الّتي أوقدت الحماسة لفكّ مغاليق النّصّ/ الدّعاء، واستكناه المعنى عبر القيام بعمليّات فهم مركّبة تقتضي قراءةً مفتوحة، لنصٍّ مفتوح أصلًا، وواعية من قبل المتلقّي تُلحظ خلالها خيوط تشكيل المعنى والمتمثِّلة

بأوجه الإستراتيجيّات النّصّيّة في هذا الدّعاء. فوجهة النّظر الجوّالة*، وهي إحدى عمليّات الفهم المركّبة، تفعّلت منذ الجمل الأولى في استهلال الدّعاء، وفرضت على المتلقّي أن يرجع، في كلّ مرّة، إلى الجملة السّابقة لوقوفه، وذلك لربط السّياقات، وبناء الدّلالة فتكون عمليّة الهدم والبناء في القراءة أساسًا لاتّساق المعنى، وتشييد عمارة النّصّ بتراتبيّة بليغة سوف تفصح عنها الدّراسة.

٢-التّناصّ:

يمكن القول إنّ التّناصّ تقنيّةٌ كتابيّةٌ تمتزج فيها النّصوص المختلفة، ضمن سياقٍ زمنيٍّ واضح، في تفاعل لغويٍّ ودلاليٍّ... كما أنّه يرتبط بعلم العلامات أو "السّيميائيّة" اللّغويّة، وغير اللّغويّة... يُجمع الدّارسون أنّ النّاقدة "جوليا كريستيفا" ** تأثّرت، حتمًا، بأعمال "دي سوسّير"*** البنيويّة، وحواريّة "باختين" **** الّتي عنيت بتعدُّد الأصوات في الكتابة. فقد حاولت كريستيفا أن تبتكر صيغة توصيفيّة مناسبة للتّفاعلات النّصّيّة، وترابطها. يمكن لهذه الصّيغة أن تعرِّف التّناصّ بالآتي: "هو التّقاطع والتّعديل المتبادل بين وحدات عائدة إلى نصوص مختلفة، فكلُّ نصٍّ يتشكّل من فسيفساء من الاستشهادات، هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى."[١٣]

تعدّ دراسات التّناصّ في الأدب العربيّ من أكثر الدّراساتِ النّقديّة تناولًا، ومنها التّناصُّ القرآنيُّ، كون القرآن يشكّل مصدر إلهام ثريًّا دلاليًّا ولغويًّا. فما هي أبرز وجوه التّناصّ القرآنيّ في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين؟ وما هي أهدافُ هذا التوظيف التّناصيّ؟

يمكن تقسيم التّناصّ في هذا الدّعاء على تناصٍّ خارجيٍّ، وتناصٍّ داخليٍّ

أ- التّناصُّ الخارجيُّ: وهو"اجتزاء قطعة من النّصّ أو النّصوص السّابقة، [وهنا نقصد القرآن الكريم] ووضعها في النّصّ الجديد بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتّصاليّ الجديد وموضوع النّصّ."[١٤] وقد تجلّى ذلك في أكثر من موضع وكأنّ الإمام عليه السلام تمثّل القرآن الكريم، وعمل بكلّ ما أوصى به فتشرّبته حركاته وسكناته، وقلبه وعقله، ولسانه. كما تدبّره فأحسن تدبُّره.

---

١٣ الزّعبي, أحمد. التّناصّ نظريًّا وتطبيقيًّا, ط١ (الأردن: مكتبة الكتاني, ١٩٩٥), ١٢.

١٤ شبل, عزّة محمد. علم لغة النّصّ- النّظريّة والتّطبيق, تقديم. سليمان عطّار, ط١ (القاهرة: مكتبة الآداب, ٢٠٠٧), ٧٩

* وجهة النّظر الجوالة: أحد أهمّ المفاهيم الإجرائيّة في جماليّات التّلقّي والتّأثير. تقوم على تجزئة النّصّ إلى متلازمات من الجمل المتفاعلة ينتج منها مراجعات مستمرّة لأفق التّوقّع، وإعادة النّظر بما كان مترقّبًا بعد ربطه بما سبقت قراءته، وهي تقع في منظور خاصٍّ خلال كلّ لحظة من لحظات التّوقّع.

** فيلسوفة وناقدة فرنسيّة. اِهتمّت بدراسات التّناصّ واللّسانيّات، والسيميائيّات، والتّحليل النّفسيّ.

*** فرديناند دي سوسّير: ناقد سويسريّ عُني بدراسة علم اللّسانيّات البنيويّة. قال إنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة، ونظام ديناميكيّ للوحدات المترابطة.

ميخائيل باختين: فيلسوف ولغويّ ومنظّر أدبيّ روسيّ. له نظريّة في الأدب والفلسفة (نظريّة الرّواية). كتب في الأدب واللّغة والسّيميائيّة والنّقد وعلم النّصّ. يقول باختين إنّ النّصّ، سواء كان مكتوبًا أو شفهيًّا، هو أساس جميع حقول دراسته (اللّسانيّات، فقه اللّغة، الدّراسات الأدبيّة، والعلوم الإنسانيّة عامّة...).

**** اِقتضت هذه الدّراسة الموجزة ذكر ورود التّناصّ بنوعيه: الدّاخليّ والخارجيّ من دون التّوسّع في تفصيل ما إذا كان (اجترارًا) أو (امتصاصًا) أو (حوارًا)، وما يترتّب على هذه الأنواع من وجود القرائن، وتفصيل التّحليل.

يبدأ الإمام الحسين(عليه السلام) دعاءه بحمد الله فيقول:" الحمد للهّ الّذي ليس لقضائه دافع..."وقد ورد الحمد في القرآن الكريم في غير آية:﴿ الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الفاتحة: ٢)، و﴿ الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ٦) كذلك ورد في سورة الكهف: ﴿ الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾(الكهف: ١٨) يظهر التّناصّ مباشرًا من خلال استحضار لفظتي(الحمد للهّ) من القرآن الكريم، وإدماجها في دعائه، بدءًا من الاستهلال، وكأنَّ الإمام(عليه السلام) يتّكئ على صيغة قرآنيَّة تحوي من الدّلالة الكثير؛ فالحمد والثّناء سابقان لكلِّ مطلب، مستدرَّان للرّحمة والاستجابة من الخالق المتَّصف بالكمال، والمستحقّ للمدح، والشّكر على نعمائه... موضع آخر نقع فيه على تناصٍّ مباشر مع القرآن الكريم ورد في خاتمة الفصل الأوَّل من الدّعاء: "فلا إله غيره، ولا شيء يعدله، وليس كمثله شيء، وهو السّميع البصير، اللّطيف الخبير، وهو على كلِّ شيء قدير"[١٥] يورد الإمام الحسين(عليه السلام) صفات للمولى عزّ وجلّ: الواحد، السّميع، البصير، اللّطيف، الخبير، القدير، على أنَّ هذه الصّفات وردت في غير آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشّورى: ١١) أي أنَّ هذه الوحدانيَّة الفريدة هي الأساس لمعرفة باقي صفات الله تعالى؛ أي أنَّه يسمع، ويعلم حاجات الخلق ومسائلهم... ﴿لا تُدْركهُ الأبْصارُ وهو يُدْرِكُ الأبْصارَ وهو اللّطَيفُ الخَبيرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)

تتوالى التّناصّات في دعاء يوم عرفة من الفصل الأوَّل إلى الفصل الأخير فيه في تحاور، وتضافر واضحين ومنسجمين. ورد في هذا الدّعاء المبارك: "وأتقن بحكمته الصّنائع"[١٦] أي أنَّه أحكم وأتقن خلق المخلوقات جميعًا بإحكام واتّساق، وحكمة. هذه الجملة في دعاء عرفة تحيلنا على الآية الكريمة: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النّمل: ٨٨) كما جاء في الحديث الشّريف: "إنَّ الله يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا فليتقنه."[١٧] وعن الإمام الصّادق(عليه السلام) قوله: "العامل على غير بصيرة كالسّائر على غير الطّريق لا تزيده سرعة السّير من الطّريق إلَّا بعدًا."[١٨] مثال آخر على التّناصِّ الخارجيِّ: "سبحان الله الواحد الأحد الصّمد الّذي لم يلد ولم يولد

١٥ القمّي, مفاتيح الجنان.
١٦ القمّي, ٣٢٨.
١٧ شبكة المعارف الإسلامية, "شبكة المعارف الإسلاميّة" تاريخ المطالعة: ١٩-١-٢٠٢٤, almaaref.org.
١٨ شبكة المعارف الإسلامية, تاريخ المطالعة: ١٩-١-٢٠٢٤.

ولم يكن له كفوًا أحد."[١٩] يبدو التّناصّ جليًّا مع سورة الإخلاص ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾(الإخلاص: ٣ – ٤).

ب-التّناصُّ الدّاخليُّ:

يُدرك هذا التّناصُّ، ويحدِّد بإشارة مقتضبة وواضحة من المؤلِّف في نصِّه يعمد فيها إلى اشتقاق وتوليد ألفاظ النَّصِّ الغائب في سبيل امتصاص المعنى، وتوظيفه. يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة مستهلًّا: "الحمد للهَّ الّذي ليس لقضائه دافع..."[٢٠] أي أنَّ المشيئة الإلهيَّة لا رادَّ لها، وهذا المعنى الضّمنيُّ نقع عليه في الآية الكريمة: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(البقرة: ١١٧) فالله إذا أراد أمرًا فلا رادّ لقضائه ومشيئته. إنَّه القضاء المبرم والمتحقِّق بكلمة(كن)، وهو قضاء لا دافع له. تطالعنا جملة: "ولا كصنعه صنع صانع."[٢١] في دعاء يوم عرفة، وهي جملة تتناصٌّ مضمونِيًّا، بشكلٍ غير مباشر مع الآية الكريمة: ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النّمل: ٨٨)، والصّنع هنا، بمعنى الخلق، وإجادة الفعل، وهو فعل اختصَّ به تعالى وحده، وهو المتَّصف بالكمال، والحكمة، والتّفرّد... وهكذا يكون الإمام عليه السلام بتوظيفه هذه التَّناصَّات في دعائه عمل على التّلاؤم، والتّوافق بين النّصّ الغائب، والنَّصِّ الحاضر في تفاعلٍ معنويٍّ ضمنيٍّ غير مباشر. كلُّ هذه التّوظيفات تعمل على إشراك المتلقِّي/ القارئ وإثارة تفاعله ليتورَّط إيجابيًّا بالنَّصِّ المقروء من خلال تحويل ذاكرته إلى النَّصِّ الأصليِّ من ثمَّ يربط، ويقارن، ويحلّل... فيكون شريكًا في عمليَّة إنتاج المعنى.

لعلَّ تنوُّعَ أساليبِ التّناصِّ في دعاء يوم عرفة أكسبه خصوصيَّة بلاغيَّة، وروحيَّة فجاءت فصوله محاكاة، وامتزاجًا بالقول المقدَّس دون الوقوع في التّمثيل والتّأثير العادي أو العابر. كما تفترض معرفة التّناصِّ القرآنيِّ قارئًا عليمًا بكتاب الله عزّ وجلّ قادرًا على استدلال مواقعه في النّصّ الحاضر(الدّعاء)، وعاملًا على تفسيرها وتحليلها مستنبطًا المعنى والدّلالة... يمكن القول أنَّ التّناصَّ في دعاء يوم عرفة ورد في أكثر من موضع، وكان خارجيًّا وداخليًّا. وقد اقتضت هذه الدّراسة المحدودة عدم المرور بها جميعًا، والاكتفاء بذكر بعض الأمثلة التوضيحيَّة. كما يبدو أيضًا أنَّ

١٩ القمّي, مفاتيح الجنان,٣٣٠.
٢٠ القمّي,٣٢٨.
٢١ القمّي,٣٢٨.

الإمام الحسين عليه السلام امتزج فكره بالقرآن الكريم فتبلور دعاؤه بعد استدعاءٍ لعبارات ومفاهيم قرآنيَّة استلهمها بوعيٍ يلائم السّياقَ الدّعائيَّ عنده، والسّياق القرآنيَّ المتناصَّ منه.

يتبيّن لمتلقِّي دعاء يوم عرفة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد استدعى استلهامات جمّة من القرآن الكريم بوعي، وبلاغة، وحكمة... وهي تنوَّعت بين استدعاء لمفرداتٍ، وتراكيب، أو استدعاء لمضمون الآية، ودلالتها. كما أنَّه حافظ على روحيَّتها القرآنيَّة ليكون هدف التّناصِّ القرآنيِّ هو الإضاءة على المضامين الدِّينيَّة، والاعتقاديَّة الإلهيَّة، وذلك لاستلهام العِبر، وتثبيت الإيمان، والارتقاء بالكتابة إلى مستويات البلاغة والفصاحة.

٣- الثّنائيَّات الضِّدِّيَّة:

تتحدَّد "الثّنائيَّات الضِّدِّيَّة" في النَّصِّ كبنيَّة أسلوبيَّة تعمل على كسر نمطيَّة السّياق الكلاميِّ ليصبح الضِّدُّ هو العامل القادر على إظهار حسن أو قبح ضدَّه. وهكذا تتوالد المفاجأة من وقوف المتلقِّي أمام جملة من الموافقات تقابلها جمل من المفارقات. هذا الوقوف لا يخلو من صدمة إيجابيَّة تؤدِّي إلى تفعيل وعي القارئ، وشحذ إدراكه ليضطلع بدوره في عمليَّة إنتاج المعنى وفق نظريَّة التّلقِّي والتّأثير. إذن يعمل التّضادُّ على دعم الأسلوب بغية تحقيق أكبر قدر من التّأثير لأنّ "البنية النّسقيَّة المتوازية والمتلائمة في أسلوب التّقابل بنية نسقيَّة مندمجة الأجزاء في سياق قائم على التّناظر في الشّكل ومتفاعل مع الدّلالة، فما تكاد تلتقي حتَّى تفترق على التّضادِّ أو على التّشاكل لتخلق لذَّةً جماليَّة مفاجئة ومثيرة وهي تنتقل من أسلوب نسقي إلى آخر لتُحدث في النّفسِ قبضًا وبسطًا، هيبة وأنسًا، خوفًا ورجاءً."[٢٢]

يشتمل دعاء يوم عرفة على جملة من الثّنائيَّات الضِّدِّيَّة الّتي تعمل كبنية أسلوبيَّة فاعلة تعرض أمام المتلقِّي ما أراد أن يظهره الإمام عليه السلام من تفاوت يتأتَّى من كونه الإنسان الذّليل أمام الخالق، القادر، والقويّ... صورة الإنسان الضعيف مقابل صورة الخالق العظيم.

تكوّن نسيج مقطعين متتالين من دعاء عرفة من تضادٍّ واضحٍ، وتقابل معنويٍّ؛ فالمتلقِّي يجد نفسه أمام صورتين مختلفتين تمامًا في الدّلالة والمعنى إلّا أنّهما تتَّحدان في البنية الإيقاعيَّة المُعبَّر عنها بالتّوازي فيجد نفسه أمام مثيران يتحكَّمان بنفسيَّته، ووعيه؛ يتأرجح بين مدٍّ من الأفكار وجزر،

٢٢ جمعة, حسين. التّقابل الجماليّ في النّصّ القرآني, د.ط. (دمشق: منشورات دار النّمير للطّباعة والنّشر والتّوزيع, ٢٠٠٥), ١٥٣.

بين فرحٍ وحزن، واعترافٍ وتسليم، وشكٍّ ويقين... يؤدّي ذلك كلّه إلى معرفة الخالق وإدراكه من خلال إدراك فقر الذّات الإنسانيَّة، وضعفها الّذي يستدعي، بشكلٍ دائمٍ ومُلحٍّ، رحمته وكرمه. ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثّماليّ: "بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت."[٢٣] يعمد الإمام الحسين عليه السلام، في المقطع الّذي يعدّد فيه نِعم الله، على إبراز صفات، وأفعال الله جلَّ وعلا، وهي صفات تعبِّر عن الغنى، والكرم، وكثير العطايا:" أنت الّذي مننت، أنت الّذي أنعمت، أنت الّذي أحسنت، أنت الّذي أجملت، أنت الّذي أفضلت، أنت الّذي أكملت، أنت الّذي أرزقت..."[٢٤] يقابل ذلك مقطعًا يعبِّر عن الفقر والحاجة إلى مغفرة الله ورحمته:" أنا الّذي أسأت، أنا الّذي أخطات[...] أنا الّذي جهلت، أنا الّذي غفلت، أنا الّذي غفلت، أنا الّذي نكثت."[٢٥] يمكن أن تشكّل هذه الثّنائيَّة: الاستغناء ه الإحتياج – الغنىه الفقر دليلًا على التّضادِّ الموظَّف بكثرة في دعاء عرفة، تضادٍّ يحثُّ المتلقِّي على تفعيل دوره التّحليليّ القائم على رصد إواليَّات إنتاج المعنى، ومنها الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة المتضمِّنة لهذه الثنائيَّات الضِّدِّيَّة.

جاء في دعاء عرفة: "إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيرًا في فقري، إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولًا في جهلي."[٢٦] يريد الإمام عليه السلام من هذا التّضادِّ أن يثبت حاجة المخلوقات إلى الله عزّ وجلّ فكلّ موجود يستدعي وجود خالق يوحّده في ذاته وصفاته وربوبيِّته، ويعلن احتياجه إلى أصل هذا الوجود وديمومته " فينحصر الغنى بواحدٍ واجب لذاته، ومفيد لوجود غيره من الموجودات، أعني الله سبحانه وتعالى، فهو الغنيُّ المطلق، وسائر الأشياء الموجودة محتاجون. وقد أُشير إلى هذا الحصر في الكتاب الإلهيِّ بقوله تعالى" وهو الغنيّ وأنتم الفقراء"..."[٢٧] تتوالى الثُّنائيَّات الضِّدِّيَّة في هذا الدّعاء المبارك من الفصل الأوَّل إلى الفصل الأخير، تارةً على شكل تضادٍّ معنويٍّ، كما أسلفت الدّراسة، وطورًا على على شكل مفردات متتابعة، ومتتاليّة: "يا من عارضني بالخير والإحسان، وعارضته بالإسائة والعصيان، يا من دعوته مريَضًا فشفاني، وعريانًا

٢٣ الطّوسي, محمد بن الحسن. مصباح المتجهّد,د.ط. (بيروت: مؤسّسة فقه الشّيعة,١٤١١هـ), ٥٨٢.
٢٤ القمّي, مفاتيح الجنان,٣٣٧.
٢٥ القمّي, ٣٣٧.
٢٦ القمّي, ٣٣٨.
٢٧ النراقي, محمد مهدي. جامع السّعادات, حقّقه وعلّق عليه. محمد رضا المظفّر,ط٤.ج٢ (المكتبة الشّيعيّة,د.ت.),٦٠, http://shiaonlinelibrary.com/.

فكساني، وجائعًا فأشبعني، وعطشانًا فأرواني، وذليلًا فأعزّني[...] وإن أعدُّ نعمك ومننك وكرائم منحك لا أحصيها."[٢٨] جاء هذا الفصل من الدّعاء فصلًا مركّبًا من متتاليات ثنائيَّات ضدّيّة يعرض فيها الإمام عليه السلام حاله المفتقرة إلى رحمة الله، ونعمه، وكرمه متبوعة بشكل مباشر بلفظة متضادَّة معها تمثّل العطاء الإلهيَّ، والتّكرُّم بالنّعمة والإجابة.

يمكن القول إنَّ الثّنائيَّات الضِّدِّيَّة في دعاء عرفة شكَّلت أحد أهمِّ وجوه البديع الموظَّفة من قبل الإمام الحسين عليه السلام، في بلاغة أسلوبيَّة ندر نظيرها؛ إذ عملت هذه التِّقنيَّة التَّعبيريَّة على تكثيف الرّصيد المعرفيِّ للجملة أو المقطع أو العبارة في السّياق الكلاميِّ. كما نجحت في استفزازها تفاعل المتلقِّي الإيجابيِّ في عمليَّة إنتاج المعنى فتكون بذلك قد حقّقت هدفين: الأوَّل إثراء النَّصِّ بمضامين تعبيريَّة، ودلاليَّة ثرَّة وعميقة تؤمِّن فرادة النَّصِّ وتميُّزه: "فكلُّ الفنون البلاغيَّة تحمل جماليَّة تأثيريَّة في المتلقِّي فضلًا عن أنَّها أداة نقديَّة تتبنَّى تقويم النَّصِّ وأساليبه."[٢٩] أمَّا الهدف الثّاني فيتمثَّل بتوريطها للقارئ بشكلٍ إيجابيٍّ وحتميٍّ يحيل على التفكُّر والإفادة، وتحقيق التّفاعل البنّاء، ومنه الاقتداء بالأثر الحسن، والسّير على هدْيِ الإمام عليه السلام في سبيل الوصول إلى معرفة الله عزّ وجلّ معرفة حقَّة، راسخة، متفكِّرة ومتدبِّرة يجلِّلُها التَّذلُّل، والخشوع، والافتقار... باختصار هي اللُّغة، لغة الإمام المعصوم، حين تصبح قادرة على تحقيق جملة من الأهداف منها: التّثقيف، التقويم، الإقناع الفكريُّ، الهداية، الاقتداء...

٤- البياضات:

البياضات، الفراغات، الفجوات، مواقع اللّاتحديد...جميعها مصطلحات مترادفة تحيل على ما يعتري النَّصَّ من مساحات حرَّة تركها المؤلِّف شاغرة بغية ملئها من قِبل المتلقِّي على أن يكون هذا العمل بعيدًا من الاعتباطيَّة، والعشوائيَّة إنَّما يحدِّده السّياق الكلاميُّ بعد وقوف هذا المتلقِّي عند الفراغ المرصود، وكأنَّه يكمل مهمَّة المؤلِّف الّذي أسند إليه هذا الدَّور الفعَّال في تكوين المعنى، وربط السّياقات بعضها ببعض... وقد أشار (رومان إنغاردن)* إلى أهمِّيَّة البياضات بحسبان ملئها بالتّجسيم أهمُّ فعَّاليَّة للقرَّاء إذ يعدُّ هذا الملء جزءًا مهمًّا من إدراك العمل الأدبيّ للفنّ. يأتي الفراغ،

٢٨ القمّي,مفاتيح الجنان, ٣٣٤.

٢٩ هادي, حسن محمد. "ظاهرة التّضادّ في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى, " Iraqi Academic, العدد٣١. ٥٣ : (٢٠٢٣) تاريخ المطالعة ٢٠-١-٢٠٢٤.

* رومان إنغاردن: من أبرز المشتغلين على الفلسفة الظّاهراتية، وهو تلميذ إدموند هوسرل. يرى إنغاردن أنّ النّصّ "جوانب تخطيطيّة غير محدّدة والتّلقّي هو الّذي يشكّل هذه الجوانب والأطر" وقد بلور وولفغانغ آيزر مفهوم الفراغات بعد تأثّره بتحليلات إنغاردن.

في هذه الحالة،" لإيقاف الانسجام النَّصِّيِّ، لكي يترك للقارئ الفرصة لإرجاع هذا الانسجام."[٣٠] وهكذا تتمُّ استثارة المتلقِّي نتيجة اللّا تناظر بينه وبين النَّصِّ، وتاليًا يتمّ التّوصل إلى فعلٍ تواصليٍّ ناجح يعتمد على الدّرجة الّتي يؤسِّس فيها النَّصُّ نفسه كعامل محرِّك لوعي القارئ، ومفعِّل لملكَاته الفكريَّة.

ويُترجم ذلك في نظريَّة التَّلقِّي والتّأثير بأنَّ القارئ هو عنصرٌ فاعل في عمليَّة إنتاج المعنى كونه القادر على الاضطلاع بعمليَّات الفهم المركَّبة الّتي تستند إلى اللّغة والإدراك، وما يجترحانه من تأويل، وتفسير، وتحليلٍ للظّاهرة أي النَّصِّ. فيكون ملء البياضات محفِّزًا لذاكرة القارئ، ومفعِّلًا لملَكة الرّبط لديه. تتعدَّد البياضات، وتتنوَّع في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ومن أمثلتها: "يا كاشف الضّرّ والبلوى عن أيُّوب، وممسك يدي إبراهيم عن ذبح ابنه بعد كبر سنِّه[...] يا من أخرج يونس من بطن الحوت[...] يا من استنقذ السّحرة من بعد طول الجحود، وقد غدوا في نعمته يأكلون رزقه، ويعبدون غيره، وقد حادّوه ونادّوه وكذّبوا رسله."[٣١] يحتوي هذا المقطع من الدّعاء بياضات عدَّة يتمثَّل كلٌّ منها بعدم اكتمال المعنى الّذي يشكّل قصّة من قصص القرآن الكريم. البياض الأوّل: يتمثّل في استحضار قصّة النّبيّ أيّوب عليه السلام وما عاناه من المرض، والضّرّ، والبلاء ثُمَّ كيف كشف الله عزّ وجلّ عنه الضُّرَّ والبلاء، وأنعم عليه بالشّفاء...

البياض الثّاني: يتمثَّل في استحضار قصَّة النّبيّ إبراهيم عليه السلام عندما حاول ذبح ابنه إسماعيل بعد الرّؤية الّتي رأى فيها أنَّه يذبحه. ثمَّ كيف فداه الله بكبش عظيم...

البياض الثّالث: يتمثَّل باستحضار قصَّة النّبيِّ يونس عليه السلام الّذي التقمه الحوت وكيف أنجاه الله تعالى من بطنه...

البياض الرّابع: يتجلَّى باستحضار قصّة السّحرة الّذين واجهوا النّبيّ موسى عليه السلام، زمن فرعون، في محاولة منهم للتّغلّب عليه، ودحْضِ رسالتَه التّوحيديَّة. من ثمّ إيمانهم وتراجعهم عن ديانة فرعون.

يعرض الإمام الحسين عليه السلام جملًا متتالية تحكي قصَصًا غير مكتمل التّفصيل. والقارئ لهذا

٣٠ بارت, رولان. أوتن, ميشال. ماهيو, ريمو. ، هالين,فرناند. تودوروف, تزفطيان. ويحن, فرانك شوير. نظريّات القراءة(من البنيويّة إلى جماليّة التّلقّي), ترجمة. عبدالرّحمن بوعلي (سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع,٢٠٠٣), ١٤٨.

٣١ القمّي, مفاتيح الجنان, ٣٣٣.

الدّعاء عندما يصل إلى هذه الجمل عليه أن يقف ويسأل نفسه: ما الّذي حصل مع هذا النّبيّ؟ ما كانت بلوى أيُّوب؟ لماذا أراد إبراهيم ذبح ابنه؟ ماذا حصل مع يونس ليخرج من بطن الحوت؟ من هم السّحرة المذكورون في الدّعاء؟ وما قصَّتهم؟ كلُّ تلك الأسئلة تشكِّل محاولاتٍ من المتلقِّي ليملأ البياضات أو الفراغات المتتالية في هذا المقطع من أجل إكمال لوحة المعنى. فمن دون الوقوف عند كلِّ بياض، ومن دون استنفار كلِّ تلك الأسئلة، يبقى المعنى غائمًا، وناقصًا. على أنَّ هذه العمليَّة تتطلَّب قارئًا عليمًا بقصص القرآن، وما ورد فيه حتَّى يستطيع إكمال المهمَّة. أمَّا القارئ غير العليم فعليه أن يسعى إلى توفير الإجابات، وهي متاحة بالتّأكيد.

أمثلة أخرى وردت في دعاء عرفة تمَّ رصد البياضات فيها، وجاءت أيضًا متتالية، متتابعة، متّسقة، ومتوازنة:" يا مولاي أنت الّذي مننت، أنت الّذي أنعمت، أنت الّذي أحسنت، أنت الّذي أجملت[...] أنت الّذي عصمت، أنت الّي سترت، أنت الّذي غفرت..."[٣٢] يتحتّم على المتلقّي، هنا، أن يقف متأمِّلًا، ومن ثمّ مفسّرًا فمؤوّلًا بعد ملء البياضات المتتالية. يمكن أن تشكّل مجموعة أسئلة يطرحها المتلقّي محاولات سليمة لملء البياضات: بِم منَّ الله تعالى وعلى مَن؟ بِم أنعم؟ إلى من أحسن؟ وكيف تجلَّى إحسانه؟ هذه الأسئلة ليست مجرّد استفهامات عابرة، إنَّما هي، إن جُمعت، شكّلت إقرارًا بعظمة الخالق، وقدرته، وتجلِّيات نعمه وأحسانه. كما أنَّ إجاباتها تذكِّرنا بما أنعم الله علينا ونحن غافلون. فتركُ البابِ مفتوحًا على التّأويل السّليم يمكّن المتلقِّي من التّفاعل والحوار الفكريِّ، والثقافي فينشغل فكره بتدبُّر الدّعاء، والقرآن، وآيات الله في الوجود. يقول الإمام الحسين(عليه السلام): "ثمّ أنا يا إلهي المعترف بذنوبي فاغفرها لي أنا الّذي أسأت، أنا الّذي أخطات، أنا الّذي هممت، أنا الّذي جهلت، أنا الّذي أغفلت..."[٣٣] وكأنَّه(عليه السلام) في هذا المقطع يردّ على ما ورد في المقطع السّابق، والّذي يعدّد فيه آلاء الله ونعمائه فعندما يقرأ المتلقّي: أنا الّذي سهوت، أنا الّذي أخطأت... يحاول أن يسترجع ما اقترفه من ذنوبٍ وإساءات وكانَّه في مساءلةٍ للّذات أمام خالقها، تبوء بذنوبها، وتطلب المغفرة... إنَّها البلاغة تتجلَّى بأبهى صورها في هذا الدّعاء، إذ جمعت إلى الإيجاز غزارة المعاني والدّلالات.

٣٢ القمّي, ٣٣٤.
٣٣ القمّي, ٣٣٤.

٥-البنية الأدائيّة:

يُعدُّ الإيقاعُ أحد المثيرات الأسلوبيَّة الّتي تستدعي البراعة في نسج الكلمات، وترتيبها، وتنسيقها بغية تحسين الجرْس، وشدّ انتباه القارئ، واستقطاب تأثيره. ولمّا كانت اللّفظة أو المفردة هي المكون الأساس للجملة وجب، في هذه الحال، إخراجها إخراجًا يشي بما سيحمله المعنى، ولعلّ التّحسين الصّوتيَّ للكلمة يدعم هذا الإخراج بما يحقّقه من تأثير إيحائيٍّ جماليٍّ في نفس المتلقّي ليعزّز بقاءه في دائرة الكشف عن المعنى: "فإيقاعيَّة النّصِّ تعمل على تنشيط حسِّ القارئ واستمالته، وكذلك تعمل على تغيير الحسِّ الإلقائيِّ للنَّصِّ بتعميق الحسِّ الغنائيِّ فيه فيما يُطلق عليه التّشكيل الزّمانيّ للملفوظ الفنّيّ."[٣٤] يمكن القول إنَّ الإيقاع النَّصِّي هو آليَّة أسلوبيَّة تجميليَّة تميّز العمل الأدبّي من سواه؛ فالدّعاء خطاب متميّز بشعريَّته الأسلوبيَّة، تلك الشِّعريَّة الّتي يؤدِّي عنصر الإيقاع فيها دورًا محوريًا ينضفر فيه: التّكرار، والجناس، والسّجع في تنسيق مدروس يفترض بلاغة، وملَكة، ودِربة... فكيف تكون الحال والدّاعي هو سيّد الفصحاء؟!

٤-الجناس*:

يُعدُّ الجناس وسيلة فنِّيَّة فاعلة في تحقيق الجرس الصَّوتيِّ الموسيقيِّ للكلمات المتتالية في الجملة الواحدة أو جملتين متتاليتين. ويتحدَّد الجناس "بلفظتين بينهما تماثُلٌ في الحروف وتغاير في المعنى"[٣٥] وهذا التّكرار الحروفيّ يولِّد إيقاعًا موسيقيًّا جرسيًا مؤثّرًا في سمع المتلقِّي، ومن ثمّ يؤدِّي بطريقة غير مباشرة إلى ضبط إيقاع آخر وهو: الإيقاع النفسيُّ للمتلقِّي عينه. على أنَّ ذلك يتطلَّب البراعة، والتّمكُّن إذ لا يُستساغ "تجانس اللّفظتين إلّا إذا كان وقْع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمًى بعيدًا."[٣٦] تنعكس الموسيقا الخارجيَّة المتأتِّية من الجناس على حسِّ المتلقِّي فيصبح وقع الكلام أكثر استحسانًا، وأشدَّ تأثيرًا، وأقدرَ على الحفظ في الذّاكرة...

ورد في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام: "واكفنا ما استكفيناك فلا كافي لنا سواك[...] ولا تصرف عنّا رأفتك ورحمتك يا أرحم الرّاحمين."[٣٧] فالألفاظ: (اِكفنا- اِستكفيناك- كافي) و(رحمتك- أرحم- الرّاحمين) هي ألفاظ مشتقّة من نفس الجذر اللّغويِّ إلّا أنَّها مختلفة في المعنى الّذي تحدّده

٣٤ لوتمان, لوري. تحليل النّصّ الشّعريّ, ترجمة. محمد أحمد فتوح, ط١ (السّعوديّة: النّادي الأدبّي الثّقافي, ١٩٩٩), ٩٥.
٣٥ الجرجاني, عبد القاهر. أسرار البلاغة, تحقيق. محمود شاكر, ط١ (القاهرة: دار المدني, ١٩٩١), ٧.
٣٦ إبن النّاظم, المصباح في المعاني والبيان والبديع, حقّقه وشرحه ووضع فهارسه. حسني عبد الجليل يوسف, الطّبعة النّموذجية (القاهرة: مكتبة الآداب, د.ت.), ١٧٣.
٣٧ القمّي, مفاتيح الجنان, ٣٣٧.
* ستكتفي الدّراسة بإيراد بعض الأمثلة عن الجناس أو(التّجنيس) من دون الغوص في تفاصيل أنواعه ومميّزاته ومنها: الاشتقاقيّة، والتّصارعيّة، والقلبيّة، والتّذييليّة. وذلك لدواعي الاختصار.

صيغة هذه الكلمات: فعل- صفة- اِسم فاعل- صفة مشبّهة. كذلك أدَّى حرف الكاف، وما يحدثه من رنّة صوتيَّة دورًا داعمًا للمعنى. أمَّا التّركيب الإيقاعيُّ في: "ولا تصرف عنّا رأفتك ورحمتك يا أرحم الرّاحمين" فهو تركيب أشبه ما يكون بموجة صوتيَّة متماوجة بين صعود، وهبوط فصعود من جديد؛ فلفظة (تصرف) هادئة لا مدَّ فيها. تليها لفظة (عنّا) المنتهية بمدٍّ. ثُمّ لفظتي (رأفتك- رحمتك) جاءتا من دون مدٍّ أيضًا. ليختتم عليه السلام الجملة بلفظة (الرّاحمين) المختومة بمدِّ الياء مسبوقًا بمدِّ الرّاء.

يُلحظ أنَّ الجناس، هنا، قد اشتغل على محورين: المحور الصّوتيُّ الإيقاعيُّ، والمحور المعنويُّ. فالمدّ الصّوتيُّ جاء للتّدليل على حالة الضّعف، والانكسار، والإلحاح في الطّلب، وبذلك يكون الجناس اللّفظيُّ الاشتقاقيُّ ولّد تجانسًا صوتيًّا – دلاليًّا من خلال المزاوجة بين تأكيد التّنغيم، وتأكيد المعنى. وفي ذلك جماليَّة تأثيريَّة تستحقّ التّأويل.

يطالعنا التّجنيس في أكثر من مقطع في هذا الدّعاء المبارك. يقول عليه السلام: "إلهي علّمني من علمك المخزون، وصُنّي بسترك المصون، إلهي حقّقني بحقائق أهل القرب، واسلك بي مسلك أهل الحدب."[٣٨] توالت المفردات المتجانسة اشتقاقًا في هذه المتلازمة من الجمل: فعل- اِسم- فعل- اِسم: علّمني- علمك- صنّي- المصون- حقّقني- بحقائق- أُسلك- مسلك. يمكن القول إنَّ هذه المفردات اضطلعت بأكثر من دور؛ فهي إلى جانب ما أدَّته من تلوين نغميّ موسيقيّ محبّب عملت على تبيان أهمِّيَّة الأصل الّذي اشتقّت منه: العلم- الصون- الحقيقة- المسلك الحسن. فهذه الأصول هي في غاية الأهمِّيَّة في سلّم القيم، والعبادات، والسّلوك القويم. مرّة جديدة يؤدّي التّجنيس دورًا مزدوجًا يضفر التّشاكل الصّوتيَّ بالتّشاكل المعنويِّ أو الدّلاليِّ. كما تراوحت هذه الصّيغ الصّوتيَّة بين التّجدُّد والتّغيير للأفعال، والثّبوت والاستمرار للأسماء.

٤- ب التّكرار:

يمثّل التّكرار توظيفًا أسلوبيًّا بلاغيًّا في دعاء يوم عرفة. ولعلَّ ذلك تأتّى من إلحاح الدّاعي المتأمِّل بالإجابة، والقبول. كما يدلُّ التّكرار على تأكيد أهمِّيَّة المسائل الّتي تضرَّع الدّاعي إلى الله تعالى من أجل تحقيقها. ويعدُّ التّكرار: "من محاسن الفصاحة، لاسيَّما إذا تعلَّق بعضه ببعض."[٣٩] لأنَّه يضفي

٣٨ القمّي, ٣٤٠.

٣٩ الزركشي, بدر الدّين محمد بن عبد الله .البرهان في علوم القرآن (كربلاء المقدّسة: المقدّسة- العتبة العبّاسيّة المقدّسة. مركز العميد الدّوليّ للبحوث والدّراسات, ٢٠١٨), ٢٦.

على النّصّ إيحاءات دلاليَّة، ونفسيَّة. كما يعزِّز التّأثير الجماليَّ لهذا النَّصِّ على المتلقِّي إذ يسمح له بتعقُّب توظيفات الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة العاملة على ربط، وتنظيم حمولات النّصِّ. ويعد التّكرار في الأدعية من التّوظيفات الّتي تحمل إيحاءً يفيد الإلحاح والتّوكيد والطّلبة وعدم القنوط. لقد ورد التّكرار في دعاء عرفة بعدّة أوجه: تكرار الصّوت- تكرار الحرف العامل- تكرار المفردة- تكرار العبارة.

- تكرار الصّوت: ورد في دعاء يوم عرفة: "... ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع، وأتقن بحكمته الصّنائع لاتخفي عليه الطّلائع ولا تضيع عنده الودائع."[٤٠] تكرّر حرف (العين) في هذه المفردات المتتالية، وهو حرف ذو صوت مجهور، ومستمرّ فيه إعلانٌ صريحٌ ينسجم مع قوَّة المتوَجَّه إليه بهذه الصفات الجليلة، وهو الحقُّ تعالى: اِنسجام بين قوَّة تصريح الدّاعي، وقوَّة المدعو متمثِّلة بقدرته، وتجلِّياته في خلقه. لقد أضفى حرف (العين) على الاستهلال هالةً من التّأثير الإيجابيّ المنسجم مع الأبعاد المعنويَّة الفطريَّة عند الإمام الحسين عليه السلام. ورد في دعاء يوم عرفة: "يا أسمع السّامعين يا أبصر النّاظرين ويا أسرع الحاسبين ويا أرحم الرّاحمين صلِّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد."[٤١] تواتر حرف(الياء) وتكرَّر في هذه الجمل، وهو حرف لين ومدّ يتَّصف بخصائص تأثيريَّة على السّامع كونه يدلّل على ما يتطلّبه النّداء من رفعٍ للصّوت، ومدٍّ له دعمه حرف مدّ الألف في (يا) حرف النّداء المتكرّر. ولعلَّ ذلك يؤكِّد أهمِّيَّة الطّلب الّذي توخّى الإمام عليه السلام قبوله من الله جل جلاله.

إذًا قام التّكرار الصّوتيّ، الموظّف في مواضع عدّة من دعاء يوم عرفة، بإبراز القوّة الكامنة في المفردة. فالأصوات تتضافر مع معاني المفردات في اللُّغة العربيَّة، وتمنحها زخمًا إيحائيًّا يتوافق مع دلالتها المعجميَّة كلّ ذلك في سبيل التّعبير عمّا يخفيه مضمون الكلمات من معانٍ، وتشكّلات "فالقيم الصّوتيّة لجرس الحروف والكلمات عند التّكرار لا تفارق القيمة الفكريَّة والشّعريَّة المعبَّر عنها."[٤٢]

- تكرار الحرف العامل:

تواترت في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين عليه السلام حروف النّداء، والجرّ، والعطف. فالدّعاء خطاب يُتوجَّه به إلى المدعو مايستلزم استخدام حرف النداء. ومن الأمثلة على تكرار حرف النّداء

٤٠ القمّي, مفاتيح الجنان, ٣٢٨.
٤١ القمّي, ٣٣٨.
٤٢ عزّ الدّين علي. التّكرير بين المثير والتّأثير, ط٢ (بيروت: عالم الكتب, ١٩٨٦), ١٣٢.

قوله عليه السلام:" يا الله يا بدئ يا بديعًا لا ندَّ لك يا دائمًا لا نفاد لك يا حيًّا حين لا حي يا محي الموتى يا من هو قائم على كلّ نفسٍ بما كسبت..."[٤٣] في هذا الجزء من مقطع، تكرّر حرف النّداء (يا) سبع مرّات، ويوحي هذا الحرف المكرّر، بما يحويه من مدٍّ، برغبة الدّاعي بالإفصاح عمّا يختلج في قلبه، وما تكنّه جوارحه من ابتهالات، واعترافات لمدعوّ عظيم الشّأن، والكبرياء. كما يُلحظ أنَّ حرف النّداء (يا) قد سبق مفردات متنوِّعة الصّيغ ما أنتج تنوّعًا أسلوبيًّا، وتكثيفًا دلاليًّا محمّلًا بالصّور والمعاني الّتي تصوّر قدرة الخالق جل جلاله، وديمومته، وعلمه، وحلمه، ورحمته... وكأنّ حرف النّداء هذا كان وسيطًا لنقل ما يراه الإمام الحسين عليه السلام بعين اليقين في الخالق البارئ سبحانه وتعالى من العظمة، والقدرة، وقد عبّر عن ذلك اليقين بمفردات تعجّبيّة، استعطافيّة، ومتذلّلة.

من الشّواهد على التكرار الحرفي في دعاء يوم عرفة، تكرار حرف الجزم والنّفي (لم) يقول الإمام الحسين عليه السلام: "الّذي لم يتّخذ ولدًا[...] ولم يكن له شريكًا في الملك [...] الّذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد."[٤٤] أفاد تكرار حرف النفي (لم) تأكيد نفي معيار اجتهد الإمام عليه السلام في إثبات نقيضه: لم يتّخذ ولدًا. فالإمام عليه السلام ينفي أن يكون له سبحانه وتعالى ولدًا، وتابع استخدام (لم) لنفي الفعل (كان)، كذلك نفي الفعل (وَلَدَ) للتّأكيد على يقينه التّامّ بوحدانيَّة الله جل جلاله، وعدم إشراكه أحدًا في الألوهيَّة. فالنّفي هنا، هو توكيد للمعنى وإثباته: نفي الشّريك هو إثبات لوحدانيَّة الله. "لم يلد" فيه نفي للشّبه والمجانسة. و"لم يولد" فيه وصفٌ للأزليَّة والأوَّليَّة. أمَّا خاتمة الجملة المركّبة: "ولم يكن له كفوًا أحد" فجاءت البتّ القاطع بعدم وجود الشّبه والمثِل، والحكم النّهائيّ بالوحدانيَّة.

في سياق متابعة تكرار الحرف العامل في دعاء يوم عرفة، تمَّ رصد تكرار لحرف العطف (و) فقد ورد هذا الحرف بشكل كبير، يقول عليه السلام: "وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك وخِرْ لي في قضائك وبارك لي في قدرك."[٤٥] تواترت المعاني في هذه الجملة المركَّبة فجاءت متمِّمة لبعضها البعض على صعيد العبارة، موضِّحة، ومتمِّمة للمعنى العامّ على صعيد المقطع كاملًا. أدَّى ذلك حرف العطف (و) وظيفة الرّابط المُوكل إليه ربط معانٍ متدرّجة، ومتنامية في الدّلالة تحيل على صفات الإنسان المؤمن، والموقن بكرم الله وعظمته فالسّعادة بالتّقوى سبقت الشّقاء النّاتج من المعصية،

٤٣ القمّي, مفاتيح الجنان, ٣٣٣.
٤٤ القمّي, ٣٣٠.
٤٥ القمّي, ٣٣١.

والتّسليم لقضاء الله سبق القدر الّذي بيد الإنسان، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلُّ على عمق إيمان الإمام الحسين عليه السلام، وثباته، ومدى تسليمه لمشيئة الله ربّ العباد.

- تكرار المفردة:

يعمد المتكلِّم إلى التّكرار بغية جذب الانتباه إلى نقطة اهتمام معيّنة في خطابه، و"التّكرار في أحد معانيه هو تسليط الضّوء على نقطة حسّاسة في العبارة، وهذا يكشف عن اهتمام المتكلِّم بها."[٤٦] كما يؤدِّي التّكرار في بعض توجُّهاته وظيفة الكشف عن خبايا النّفس البشريَّة، ومكنوناتها. ورد في دعاء يوم عرفة تكرار لأكثر من مفردة منها: (اللَّهم- ربّ- سبحانك- سبحانه- ربّي- أنت- أنا...) وقد جاء هذا تكرار هذه المفردات لعلَّة أرادها الإمام الحسين عليه السلام؛ فتكرار كلمة (اللَّهمَّ) يفيد النّداء (استعيض عن حرف النّداء-يا- بالميم المشدّدة)، ويتبع ذلك طلب وكأنَّ الإمام أراد التّوجُّه إلى الله تعالى بالتّفخيم، والتّعظيم، والمدحة قبل أن يسأله حاجته. وهذا التوجُّه من صلب الدّعاء. كذلك الحال بالنّسبة لمفردات: ربّي، الله... لعلّ تكرار هذه المفردات (وهي من قبيل أسماء الذّات الإلهيَّة) يدلُّ على تسليم الإمام الحسين عليه السلام أمره إلى الله فتوجَّه إليه بكلِّ جوارحه، وكان قريبًا منه، تضرَّع في حضرته، ثُمَّ بكى خشيةً، ورهبة، وحياءً...

- تكرار العبارة:

من وجوه التّكرار في دعاء عرفة تكرار (العبارة): الحمد لله- لا إله إلّا أنت- سبحانك إنّي- أنت الّذي- أنا الّذي...) يؤكِّد الإمام عليه السلام في عباراته: الحمد، والتّوحيد، والتّسبيح... حقيقة دامغة تنطق بها جوارح، وتكرارها تأكيدًا، واعترافًا غير منقطعين بهذه الحقيقة، وكأنَّ الإمام عليه السلام يورد هذه العبارات قبل ذكر حاجته الخاصّة من باب الِامتثال إلى الأوامر أوّلًا (فريضة التّوحيد، والتّسبيح..) من ثَمَّ عرض الحاجة بأسلوب استدلاليٍّ ينمُّ عن براعة، وبلاغة. باختصار كان لتكرار عبارات بعينها أثرٌ لغويٌّ فنِّيٌّ في النَّصِّ، وأثرٌ معنويٌّ خاصٌّ؛ فالأثر اللُّغويُّ أفاد التّوكيد الدّلاليَّ. أمَّا الأثر المعنويُّ فدلّل على استئناس الإمام عليه السلام بهذه العبارات الّتي تزيد قائلها يقينًا بالإجابة، والقبول.

تواتر التّكرار في دعاء يوم عرفة بغير صورة، ولغير غرض. ويمكن عدّه من أهمّ التوظيفات البلاغيَّة الّتي اتَّبعها الإمام الحسين عليه السلام في إطار الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة. تلك الإستراتيجيَّة الّتي ربطت

٤٦ السّامرّائيّ, فاضل صالح. معاني النّحو, ط١.ج٣ (بيروت: دار إحياء التّراث, ٢٠٠٧), ٥٥.

حمولات النَّصِّ بعضها ببعض. كما نظّمتها تنظيمًا إرشاديًّا يرشد المتلقِّي إلى أطراف الخيوط الدّلاليَّة كي يتمكَّن بعد ربطها من نسج المعنى، وتكوين الموضوع الجماليِّ الّذي يحقِّق فرادة النّصِّ، ومن ثمَّ يؤمِّن استمراريَّته، وتاليًا خلوده.

٥-ج- السّجع:

يشكّل "السّجع" سِمة أسلوبيَّة مميَّزة في الأدعية بكلِّ عامٍّ، وهو يتحدَّد كفنٍّ بديعيٍّ يُعنى بالإيقاع الموسيقيِّ في الشّعر، والنّثر. والسّجع "معناه في ألسنة علماء البيان اتّفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو الوزن أو في مجموعهما."[٤٧] ويأتي السّجع في الكلام المنثور متوازيًا متوازنًا غير مطَّرد حيث تتَّفق فواصل الكلام في الحروف أو الوزن.

ومن أمثلة السجع في دعاء يوم عرفة قوله عليه السلام: "يا من عارضني بالخير والإحسان وعارضته بالإساءة والعصيان يا من هداني للإيمان قبل أن أعرف شكر الامتنان يا من دعوته مريضًا فشفاني وعريانًا فكساني."[٤٨]

الإحسان	⟷	العصيان
للإيمان	⟷	الإمتنان
فشفاني	⟷	فكساني

شكل(١): يوضح أمثلة السجع في دعاء يوم عرفة.

جاءت الفواصل في هذا المثال متشابهة في أكثر من حرف: (الألف والنّون)، و(الألف والنّون والياء)، وقد أفاد المدّ هنا بتصوير حالة مؤلمة عانى منها الدّاعي، وكانت لصيقة به. كما صرّحت (الياء) في (شفاني- كساني) بذلك.

وفي مثال آخر: "اللَّهمّ يا من ملك فقدر وقدر فقهر وعُصي فستر واستغفر فغفر."

فقدر	⟷	قهر
فستر	⟷	فغفر

شكل(٢): يوضح مثال آخر من أمثلة السجع في دعاء يوم عرفة .

٤٧ العلوي, يحي بن حمزة اليمني. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز, ج٣ (مصر: الكتب الخديويّة - مكتبة المقتطف, ١٩١٤), ١٨.

٤٨ القمّي, مفاتيح الجنان, ٣٣٣.

هذا التّكرار التّركيبيُّ، والصّرفيُّ، والصوتيُّ دعمه تكرار حرف (الرّاء) بما حمله من دلالات على الدّوام، والاستمراريَّة؛ فقدرة الله تعالى مستمرَّة ودائمة، كذلك قهره، وستره، وغفرانه: فوفرة التّكرار الصّوتيُّ تصرِّح بوفرة التّكرار الدّلاليِّ كما تحقَّق الجماليَّة التّأثيريَّة بفضل قصر المقاطع، وقُرب الفواصل المسجوعة من بعضها؛ "فالألفاظ القليلة أوجز وأرقُّ لأنَّ أطرافها إن تقاربت لذّتْ على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها."[٤٩]

لقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يرصِّع دعاءه بدرر البلاغة، وألبسه حسنَ البيان، وهو بذلك أجاد التّعبير عمّا أراد البوح به. وقد جعل من السّجع غير المتكلّف وسيلةً لا غاية لما فيه من استجابة للتعبير عمّا يعتمل في قلبه الدّاعي، التّائب، المفتقر، والشّاكر...

٤٩ العلوي, الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز,٢٣.

الخاتمة:

من خلال دراسة الإستراتيجيّات النَّصِّيَّة، وهي إحدى أبرز مفاهيم نظريَّة التّلقّي والتّأثير، في دعاء يوم عرفة للإمام الحسين(عليه السلام)، توصَّلت الدّراسة إلى مجموعة استنتاجات وهي:

•أسهمت الإستراتيجيّات النَّصِّيَّة الموظّفة في دعاء يوم عرفة بتنظيم حمولات النَّصِّ المختلفة: الدّينيَّة، والفكريَّة، والعقائديَّة فقد عملت على ربطها ربطًا محكمًا جعل نصَّ الدّعاء خطابًا مسبوكًا ببراعة، وبلاغة فريدتين؛ فالدّاعي هو الإمام الحسين(عليه السلام) سيِّد البلغاء، والمدعو هو الخالق العظيم جلّ وعلا.

•جاء الاستهلال في دعاء يوم عرفة مثيرًا للمتلقّي/ القارئ (علمًا أنَّ المتلقِّي الأوَّل هو الله جلّ وعلا) إذ حفّزه على الاستجابة السّريعة، وحرّضه على التّفاعل الإيجابيّ في عمليَّة بناء المعنى، ويكون ذلك من خلال بناء أفق لتوقُّعه يتساوق مع ما ورد من إشارات استهلاليَّة دلاليَّة.

•أدّت الثّنائيَّات الضِّدِّيَّة دورًا هامًّا في خلق جماليَّة النَّصِّ التّأثيريَّة؛ إذ طال هذا الدّور المستوى الصّوتيَّ، والمستوى الدّلاليَّ فأسهم بشكلٍ فعَّال في إنتاج دلالات الدّعاء المتأرجحة بين جدليَّات وجوديَّة، ومعنويَّة منها: الدّنيا- الآخرة / الفقر(المعنويّ)- الغنى(المعنويّ)/ الإنعام- الإساءة / الجهل- العِلم / العصيان- المغفرة / الشّكّ- اليقين... كما أسهم في تحقيق الهدف المتوخَّى من منظور جماليَّة ألا وهو خلق الإثارة لدى المتلقِّي، وتوريطه في عمليَّة إنتاج المعنى.

•من خلال تتبّع ظاهرة التّناصّ القرآنيّ في دعاء يوم عرفة تبيَّن مدى احتواء هذا الدّعاء المبارك للمضامين الدّينيَّة والاعتقاديَّة الإلهيَّة، وكأنَّ القرآن الكريم قد سكن وجدان الإمام (عليه السلام)، وحلّ في جوارحه، ووعيه. وقد اتَّخذ التّناصُّ عدّة أوجه في هذا الدّعاء منه التّناصّ الدّاخليّ، والتّناصّ الخارجيّ فارتقى أكثر بأسلوب الكتابة البليغة، ودعم التّأثير الجماليَّ لهذه الخطاطة النَّصِّيَّة الحيَّة الّتي جسَّدت مراحل حياة الإنسانيَّة من النّطفة حتَّى البلوغ. كما جسَّدت العظمة الإلهيَّة في الوجود، والمقدّرة لكلِّ تلك المراحل التّكوينيَّة.

•يمكن القول إنَّ البياضات الّتي تمَّ رصدها في دعاء يوم عرفة نجحت في تفعيل دور المتلقّي. إذ صار لزامًا عليه أن يتفاعل مع نصِّ الدّعاء كي تكتمل أمامه الصّورة، وتتوضَّح الأبعاد الدَّلاليَّة.

وهكذا نجح هذا المفهوم الإجرائيّ (البياضات) في تدبُّر الدّعاء، والتّفكُّر بكلِّ جملة من جمله، وبذا تكون قراءته مفتوحة، وشاملة شرط عدم الاعتباطيَّة في التّأويل، أو المبالغة في تحميل الدّلالات.

•أمَّا بالنّسبة إلى البنية الإيقاعيَّة فكانت من أكثر المظاهر الأسلوبيَّة تجلِّيًا في هذا الدّعاء المبارك؛ فقد شارك التّكرار إلى جانب الجناس، والسّجع في بثِّ نفحة موسيقيَّة تنغيميَّة موحية بما يختزنه الدّعاء من إيحاءات تشي بما اعتمل في نفس الإمام الشّريفة من مشاعر الافتقار، والإجلال، والرّهبة، والتّقديس... ولعلَّ قارئ هذا الدّعاء سيشعر أنَّ تنوُّع البنية الإيقاعيَّة قد شكّل عامل جذب سيوصله حتمًا إلى السّكينة، والرّاحة النّفسيَّة. وبذا تكون البنية الإيقاعيَّة قد أدَّت دورًا مزدوج الفاعليَّة: أسلوبيًّا متعلّقًا بالمؤلِّف، وتأثيريًّا نفسيًّا متعلّقًا بالمتلقِّي القارئ. باختصار جمع دعاء يوم عرفة حقائق علميَّة، وكلاميَّة، وأخلاقيَّة، وإنسانيَّة، ونفسيَّة، وعقائديَّة، وعرفانيَّة...

•يمكن القول أنَّ الإستراتيجيَّة النَّصِّيَّة في دعاء يوم عرفة كانت ذات تنظيم إرشاديٍّ للذّخيرة النَّصِّيَّة. إذ عملت على إرشاد المتلقِّي إلى إواليَّات إنتاج المعنى، ولم تقدِّم هذا المعنى بشكلٍ مباشر، وصريح. ما يجعل هذا الدّعاء من الأعمال الإبداعيَّة الخالدة لما حواه من البلاغة، وعوامل الجذب القرائيَّة فمنذ أكثر من ألف وثلاثمئة عامّ وملايين القرّاء يردّدون هذا الدّعاء المبارك ويتدبَّرون آيات الإعجاز فيه.

•لقد تجلّى في دعاء يوم عرفة بعدٌ جليٌّ ومهمٌّ هو البعد العرفانيُّ في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام إذ بدا واضحًا، ومؤثِّرًا ابتهاله الممزوج بالحرقة، ورغبة الفناء في الله، وكشف عن هذا البعد ما تناولته الدّراسة من تحليل للإستراتيجيَّات النَّصِّيَّة. والحقيقة تقال إنَّ البحث مهما اجتهد في دراسة هذا الدّعاء المبارك يظلّ قاصرًا، وعاجزًا عن إدراك مكامن دره، وارتقاء أسوار بلاغته السّامية، والإحاطة بما أفاضت به نفس الإمام الشّريفة.

المصادر:

القرآن الكريم:

آيزر, وولفغانغ. فعل القراءة. ترجمة عبد الوهاب علوب, د.ت.

إبن النّاظم. المصباح في المعاني والبيان والبديع. حقّقه وشرحه ووضع فهارسه حسني عبد الجليل يوسف. الطّبعة النّموذجية. القاهرة: مكتبة الآداب, د.ت.

البحراني, عباس الرّيس. أصول المعرفة في شرح دعاء عرفة. د.ط. المنامة: منشورات مكتبة العلوم العامّة, د.ت.

الجرجاني, عبد القاهر. أسرار البلاغة. تحقيق محمود شاكر. ط١. القاهرة: دار المدني, ١٩٩١.

الزركشي, بدر الدّين مُحَمَّد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. كربلاء المقدّسة: المقدّسة- العتبة العبّاسيّة المقدّسة. مركز العميد الدّوليّ للبحوث والدّراسات, ٢٠١٨.

الزّعبي, أحمد. التّناصّ نظريًّا وتطبيقيًّا. ط١. الأردن: مكتبة الكتاني, ١٩٩٥.

السّامرّائيّ, فاضل صالح. معاني النّحو. ط١.ج٣. بيروت: دار إحياء التّراث, ٢٠٠٧.

السّيّد, عزّ الدّين علي. التّكرير بين المثير والتّأثير. ط٢. بيروت: عالم الكتب, ١٩٨٦.

الطّباطبائيّ. "الميزان في تفسير القرآن - المكتبة الشّيعيّة,"د.ت.http://shiaonlinelibrary.com.

الطّوسي, مُحَمَّد بن الحسن. مصباح المتجهّد. د.ط. بيروت: مؤسّسة فقه الشّيعة, ١٤١١هـ.

العلوي, يحي بن حمزة اليمني. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. ج٣. مصر: الكتب الخديويّة - مكتبة المقتطف, ١٩١٤.

القمّي, عبّاس. مفاتيح الجنان. ط١. بيروت: مؤسّسة الأعلمي, ٢٠٠٤.

النراقي, مُحَمَّد مهدي. جامع السّعادات. حقّقه وعلّق عليه مُحَمَّد رضا المظفّر. ط٤.ج٢. المكتبة الشّيعيّة, د.ت. http://shiaonlinelibrary.com.

بارت, رولان, ميشال أوتن, ريمو ماهيو, فرناند هالين, تزفطيان تودوروف, فرانك شوير. نظريّات القراءة(من البنيويّة إلى جماليّة التّلقّي). ترجمة عبدالرّحمن بوعلي. سوريا: دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠٠٣.

تومبكنز, جين.ب. نقد استجابة القارئ من الشّكلانيّة الرّوسيّة إلى ما بعد البنيويّة. ترجمة حسن ناظم, علي حاكم, ومراجعة وتقديم مُحَمَّد جواد حسن الموسويّ. المجلس الأعلى للثّقافة/ المشروع القوميّ للتّرجمة, ١٩٩٩.

جمعة, حسين. التّقابل الجماليّ في النّصّ القرآنيّ. د.ط. دمشق: منشورات دار النّمير للطّباعة والنّشر والتّوزيع, ٢٠٠٥.

ربابعة, موسى. جماليّات الأسلوب والتّلقّي/ دراسات تطبيقيّة. ط١. الأردن: مؤسّسة حمادة للدّراسات الجامعيّة والنّشر والتّوزيع, ٢٠٠٠.

ريفاتير, ميكائيل. معايير تحليل الأسلوب. ترجمة حميد لحميداني. ط١. الدّار البيضاء: منشورات دراسات سيميائيّة أدبيّة لسانيّة(دراسات سال), ١٩٩٣.

شبكة المعارف الإسلامية. "شبكة المعارف الإسلاميّة,"almaaref.org.

شبل, عزّة مُحَمَّد. علم لغة النّصّ- النّظريّة والتّطبيق. تقديم سليمان عطّار. ط١. القاهرة: مكتبة الآداب, ٢٠٠٧.

عبدالعالي, سعيد عكاب. "القرينة الصّوتيّة وأثرها الدّلاليّ(دراسة في دعاء عرفة)." مجلة لارك للفلسفة واللّسانيّات والعلوم الاجتماعيّة. مديريّة تربية كربلاء المقدّسة المجلد, العدد٤٤. (د.ت.).

قاسم, سيزا. القارئ والنّصّ (العلامة والدّلالة). المجلس الأعلى للثّقافة/ الشّركة الدولية للطباعة, ٢٠٠٢.

لوتمان, لوري. تحليل النّصّ الشّعريّ. ترجمة مُحَمَّد أحمد فتوح. ط١. السّعوديّة: النّادي الأدبيّ الثّقافي, ١٩٩٩.

هادي, حسن مُحَمَّد. "ظاهرة التّضادّ في سورة الأعراف وأثرها في إيصال المعنى." Iraqi Academic, العدد٣١. (٢٠٢٣).

هولب, روبرت. نظرية التّلقّي/ مقدّمة نقدية. ط١. القاهرة: المجلس الأعلى,٢٠٠٠.